

الهوية العربية كمدخل للوحدة

الكاتب



علي محمد فخرو

د. علي محمد فخرو

بينما في مقال الأسبوع الماضي (العودة إلى شعار الوحدة الوجودي)، أن الوعي الجماهيري العربي، الذي تجلى بأشكال مختلفة مبهرة في موندريال كرة القدم في الدوحة، قد أثبت بأن المشاعر التضامنية الأخوية والتزامات الهوية العربية الجامعة فيما بين العرب، كأفراد وجماعات وأقطار، لم تتأثر إطلاقاً بحملات الدوائر الاستعمارية وبعض التابعين لهما من الجهلة والانتهازيين، والتي عملت عبر سنين طوال على تشويه تلك المشاعر والالتزامات أو طمسها أو تضليلها بالكذب والافتراء، أو إضعاف الذاكرة الجمعية القومية للملايين من أبناء الأمة.

لقد كانت حناجر عشرات الآلاف من الحاضرين العرب في ذلك الموندريال تصرخ بصوت غير مباشر في وجه مفكري ومثقفي وقادة المؤسسات السياسية والمدنية الأخرى: أرجعونا وعودوا إلى شعار الوحدة العربية الوجودي. ولكن قبل الحديث عن مزايا الوحدة والطرق المؤدية إليها، دعنا نبرز لشابات وشباب الأمة بعض المنطلقات الأساسية التي من دون الاتفاق على معانيها ومضامينها سيبقى شعار الوحدة تائهاً وغامضاً ونظرياً.

في قلب تلك المنطلقات موضوع الهوية العربية التي تعني شعور الإنسان العربي العميق ويقظة وعيه بانتمائه إلى وطن عربي واحد، وبالتالي إلى أمة عربية واحدة، جواباً على تساؤلاته عمن يكون وإلى أين ذاهب. والتي تعني أيضاً أن العرب ينتمون لثقافة واحدة وتاريخ مشترك يتميز بهما العربي بين سائر الثقافات الأخرى، والتي تعني أيضاً بوجود علاقة خاصة، عبر القرون الطويلة، بين تلك الهوية ودين الإسلام، من حيث انتماء كل عربي للإسلام لغةً عربية قرآنية وحضارةً، ومصدراً لقيم إنسانية كبرى تتمثل على الأخص في قيم الكرامة الإنسانية والتي لا توجد إلا بتحقيق العدل والقسط، وتحقيق المساواة في الخيرات والحقوق والواجبات، وتحقيق حرية الفرد المتناغمة مع حرية الجماعات، وتحقيق مبدأ الشورى الديمقراطية. وهي قيم تتحسن وتسمو مع مرور الأزمنة وتغير الأحوال وتنامي العلم والمعرفة. وهي تنسجم على الأخص مع منطلقات الديمقراطية الكبرى.

وهي علاقة تتناقض كلياً مع التزمت الديني المنغلق واستعماله بانتهازية في الأمور التنظيمية السياسية والاقتصادية والمعيشية الدنيوية. وبالتالي فهي علاقة تغرس قيم الفضيلة واستعمالات المعرفة بإنسانية وعقلانية في عقول وقلوب الأجيال، وتبعدهم عن التعايش مع الاستبداد والفساد والامتيازات الفئوية والولاءات الطائفية والقبلية الضيقة. ومن خلال تلك العلاقة الخاصة تنتهي الصراعات والمماحكات في المجتمعات العربية بسبب تعدد الإثنيات واللغات والثقافات المحلية الفرعية والديانات والطوائف، والتي تتناقض كلياً مع قيم المساواة والكرامة والعدل والشورى الديمقراطية والأخوة الإنسانية. وفي الوقت نفسه يتعايش الولاء لتلك الهوية العروبية بانسجام أخلاقي وعقلي مع الولاءات الفرعية من مثل الولاءات الدينية والمذهبية والقبلية والسياسية والإيديولوجية، طالما أن تلك القيم المشتركة هي التي تحكم ذلك التعايش وتضع ضوابطه المسلكية.

يبقى بعد آخر مهم لموضوع الهوية: بعد علاقتها بالسلطة ذلك أن من يملك السلطة والقوة، حتى الشرعية منها، سيكون قادراً على التلاعب بتعريف الهوية ومكوناتها وأهدافها. هذا جانب يحتاج أن يعيه الشباب والشابات بقوة؛ إذ بسوء استعماله يمكن للهوية أن تنقلب إلى أضحوكة ومجموعة بلاءات لا تخدم إلا صاحب السلطة وما يتبعها من أدوات القوة والهيمنة.

من دون فهم عميق عقلاني إنساني لموضوع الهوية من المنطلقات وغيرها الأساسية، سيكون الانتقال إلى شعار الوحدة العربية محفوفاً بالمشاكل والمخاطر.

dramfakhro@gmail.com